حكاية صف أصبح مملكة

سامر عقل

أنهيت دراستي الثانوية في إحدى الدول الخليجية، بمعدل ممتاز (بس ممتاز خارج فلسطين يعني مقبول هذا بنظر الموجودين). وبعد مشاورات عدة من قبل الأصدقاء، لم يخطر ببالي أن أصبح معلماً؛ يعني "أهل مكة أدرى بشعابها". كنا طلاباً وبنعرف.. وماذا عملنا؟

ولكن شاءت الأقدار أن التحق بالتعليم لكي أصبح معلماً لمادة الرياضيات. أنهيت الدراسة الجامعية بعد جهد جهيد، ومن ثم التحقت بالسلك الكهربائي عفواً التعليمي، كان أول مكان توظفت فيه أحد المخيمات الفلسطينية التابعة لوكالة الغوث الدولية، شققت طريقي وسط وابل من الصعوبات، منها بعد المكان، والسفر، وليس الذهاب إلى المدرسة. مكثت هناك مدة شهر واحد، لا أنكر أنني واجهت صعوبة في التعامل مع الطلاب، ولكن "إذا انجن قومك ما بنفعك عقلك"، يعني صرت خلال أسبوعين من شلة الطلاب. كان الطلاب بنادوا: إجا معلم الدبكة، مع العلم أنني أعلم 25 حصة رياضيات وحصة واحده للدبكة.

بعدها انتقلت إلى التعليم في المدينة نفسها التي اسكن فيها، مع اختلاف في التعامل مع الطلاب. بعد سنتين من التوظيف تم اختياري في دورة المعلم المرشد من قبل وكالة الغوث ومدتها سنة واحدة، بعض المعلمين ذوي الخبرة (للأسف) أكدوا أنه لا فائدة من دورات الوكالة، أو بمعنى آخر "كله حكي فاضي".

في أثناء الدورة شعرت بتغير من حيث الأساليب، وطرق التعامل مع الطلاب؛ يعني صرت أقرب للطلاب. بعدها بسنتين تم اختياري مرة أخرى لدورة المرشد الصحي من قبل وكالة الغوث أيضاً ومدتها سنة، وأيضاً أثرت في أسلوبي أكثر، بعدها قررت أن لا أترك أي دورة تفيد الطلاب في المرحلة الأولى، وتعود بالفائدة علي في المركز الثاني (مع العلم انه لا توجد أية حوافز على أي دورة؛ يعني 25 حصة، غير الوظائف المناطة بي).

في بداية هذه السنة، ومع توزيع الطلاب على الشُّعب الدراسية، وضمن العمليات المتواصلة لرفع مستوى التحصيل، قرر مدير المدرسة اختيار شعبة من طلاب الصف الثامن الأساسي وجعلها شعبة علاجية، وبما أنني أعلم الصف الثامن، فأنا أنجح معلم لتعليمها! ليش؟ ما بعرف؟

وتم تقسيم الشعبة، وهناك رأيت العجب العجاب!

حكايتي مع الصف الثامن (ج)
الصف مكون من 38 طالباً، لا أقول ضعاف التحصيل، ولكن كمبيوتر بدون برمجة! مستويات تحت الصفر، عدم متابعة من قبل الأهل، تصرفات غريبة، عدم الانضباط، عمل بعد الدوام المدرسي ... وشو بدك تحكي إحكي ....

قررت كمعلم للرياضيات إن أترك المنهاج التقليدي وأرجع لمهارات

سابقة، بس المصيبة إنه على الفاضي. فقررت أن أبدأ معهم من الصف الأول، بس تخيل من الصف الأول للثامن كمية المعلومات المفقودة!

بدأنا بعملية الجمع والطرح على اعتبار إنهن عمليات روتينية، بس طلعت عمليات معقدة، ومشينا خطوة خطوة، وبعد أسبوع أتقن الطلاب عملية الجمع والطرح. الطبيعي إنه بعدها انتقل إلى عملية الضرب، وهنا رأيت العجب العجاب.

بتعرف تسميع جدول الضرب لـ 38 طالب بخلي الواحد يملّ.

اجتني فكرة بعد ما وصلت لجدول الضرب حتى العدد 5 أن أترك الأمر، يعني حفظوا وإلا عمرهم ما حفظوا، فقررت أن أترك هذا الشغل.

لكني ثاني يوم وجدت نفسي ومن غير قصد راجع بهمة أعلى ونفس أطول وعلمتهم الطريقة (استخدام طريقة العد باليد مع اللوح عند إيجاد قيمة حاصل ضرب عددين).

وهكذا استمرت الأمور . . . يعني خلال يوم كان الطلاب اللي ما في عندهم في الخانات إشارة (√) صار عندهم فايض.

بتعرف إني انتعشت وزاد عطائي . . . وصار همي أخلّص جدول الضرب.
مع أن الطريقة طويلة وأخذت وقت.

وتستمر المعاناة

انتهينا من وجع الرأس اللي سببه جدول الضرب . . . وخطرت لي فكره جديدة؛ إعادة الكرة، لكن بشكل آخر، هذه المرة غير . . . هالمرة مش بس وجع رأس . . . المرة فتاق، لأن كل طالب بدو يتقن عملية الضرب في منزلة واحدة ومنزلتين، والأدهى في ثلاث منازل. وبس نوصل لتلك المرحلة برجع أحكيلكم. بس نفسي أعرف من وين تيجي هالأفكار . . . . .
والله أعلم . . . . إحنا خلصنا . . . . بيجوز في أفكار تانية . . . .

وتستمر الحلول

لما انتقلنا لعملية الضرب في عدد مكون من ثلاث منازل (كل طالب بطلع يحل على اللوح) شعرت إنه كل طالب راح يأخذ معظم الوقت، فكلفت الطلاب بكتابة كل عملية ضرب لكل طالب على الدفتر والقيام بحلها. وهكذا حققت هدفين بحجر واحد . . . . الأول بتقوى الجميع في عملية الضرب . . . . والثاني هو عملية ضبط الصف (وخصوصاً لأنه المرارة فاقعة).

لكن بتعرف أن هناك ملاحظه مهمة. العملية بطلت تأخذ وقت، يعني أصبح الطلاب يحلوا بكل سرعة مع أنه ثلاث منازل وخطوات أطول وأرقام أكثر . . . وبعد هيك ما بدك تسميه إنجاز؟! إنت حر . . . بس أنا سميته إنجاز . . . .

طبعاً تخلل هذه الفترة امتحانات، بس لحّق تصليح، وبطلت أميز بينها، هل هي امتحانات تشخيص، تقويم، يومية، شهرين، بس بدون ما أشعر ملل من قبل الطلاب.

من فعاليات مشروع توظيف الرسوم المتحركة في التعليم.

لكن ما لاحظته إن علامات الطلاب كل ما فيها بتتغير إلى الأفضل.

بعض الطلاب جاء ولي أمره لأول مرة على المدرسة يسأل عن مستوى ابنه، والبعض الآخر اتصل، حتى الطلاب اختلفت آراؤهم. أحدهم يقول: لأول مرة في حياتي أدرس على امتحان، وآخر أنا جبت أعلى علامة على الصف. وكمان ساعدت إدارة المدرسة في تكريم الطلاب، وإقامة الأنشطة لهم ودمجهم ضمن الأنشطة المدرسية.

وكمان لاحظت على أسلوبي تغير، واستفدت كثير من دورات مؤسسة عبد المحسن القطان، وخصوصا دورة الدراما في التعليم، فكانت الحصص دراما وقصة وعباءة خبير وممر الضمير وتمثيل . . . يعني ما خليت إشي إلا عملته . . . حتى إن المعلمين حكوا إنجن أبو عقل . . . .

والحيرة تستمر أيضاً

احترت في الموضوع كيف أكمل بعد الانتهاء من عمليات الضرب. هل أبدأ في عملية القسمة لأنها استكمال لعملية الضرب، مع العلم أن هناك حلولاً كثيرة ؟ أو أن أغير الموضوع إلى الكسور لأن الطلاب ملوا من الأعداد وجدول الضرب؟

والله حيران . . .

بس أحكيلك أنا مستعجل ومتشجع للمضي إلى الموضوع الذي بعده، وهذه الهمة من تشجيع الطلاب واستيعابهم.

مملكتي

إجا مربي الصف بدو يعطيني أسماء الطلاب مرتبين هجائياً حسب الكشف . . بس ما رضيت . . . بتعرف ليش؟ لأني هيك تعودت عليهم وراح أخليهم هيك . . . أنا حر . . . وهذه مملكتي . . . .

بتعرف: كيف الشعور اللي عند المعلم لما يكون عنده حصة فراغ أنا راحتي مع طلاب الصف الثامن ج . . . بدك تحكي إنجن الأستاذ؟ كمان أنا حر . . . .

كل بداية صعبة

بدأنا عملية القسمة والوضع تمام التمام . . . أخذنا معنى عملية القسمة ومكوناتها وكيف نقسم منزلة واحده مباشرة، وكيف نقسم منزلتين مباشرة . . . بس المصائب بلّشت من عملية القسمة في أكثر من منزلتين . . . جربنا القسمة منزلة منزلة، بس ظل الطلاب مش عارفين وين بنحكي كإنه بنحرث في المية . . . .

اتبعت طريقة أخرى وهي: كتابة جدول ضرب المقسوم عليه، وأخذ العدد من جدول الضرب ومشى الحال . . . .

متاهة البلبلة

شكله مخ الطلاب بدأ يخلط بين العمليات: جمع، طرح، ضرب، قسمة. حتى نطق الطلاب انعوج بدل الضرب بحكو قسمة وبدل الطرح قسمة. استعملت طريقة أخرى: وهي كتابة جدول ضرب المقسوم بس طورناها بما إنه إحنا في عصر السرعة (اركن وتعال قابلني). انبسط الطلاب . . . حتى في طلاب حكوا هاي طريقة جديدة، مع إنها نفس الطريقة!!

اليوم:

تعال شوف الطلاب غير، حتى المواضيع اللي بعلّمها غير، يعني لحقنا عصر السرعة (هندسة، كسور، وحدات قياس، وأشكال هندسية، ومقادير جبرية).

طيب تعال شوف المفاجأة:

امتحان المهارات الدولي في العلوم والرياضيات (TIMSS) يعقد كل أربع سنوات مرة، ويتم اختيار عدة مدارس من كل محافظة بناء على مواصفات وعينة، ويتم اختيار شعبة من الصف الثامن لهذا الغرض، وغير ذلك من آليات إجراء الدراسة.

لحسن الحظ أو سوء الحظ لا أعرف، تم اختيار المدرسة لهذا الامتحان . . . بس بدون إعلان عن الشعبة عينة الدراسة صرنا نخمس ونسدس، واستبعدنا أن يكون الصف الثامن (ج) هو عينة الدراسة، ولكن الموت لا مفر منه، قبل الامتحان بأسبوع تقريباً، أُعلمنا بأن الشعبة هي الثامن الأساسي (ج)، وهنا وقعت الواقعة. يعني المستوى أكيد بيكون ضعيف جداً.

بس بتعرف أنا كنت متفائل كتير بالنتائج، لأنه الطلاب كانوا خام ودرسوا معلومات بتقدر تحكي إنها جديدة. ولحسن الحظ إجا الامتحان الدولي كتطبيق على التدريس، وأحكيلك حتى لو كان المستوى أو النسبة ضعيفة أنا بسميه إنجاز.

نسيت أحكي إنه وعدنا الطلاب بعمل رحلة مميزه مجاناً، وطلبت منهم اختيار المكان اللي حابين يزوروه، اتوقعت إنهم يختاروا الذهاب إلى طولكرم، نابلس، رام الله، القدس! (على اعتبار إنهم حفظوا مدينة قلقيلية)، المصيبة أنهم اختاروا الذهاب إلى بركة سباحة داخل قلقيلية. وهان ضحكت لما فلست واكتشفت إنه التفكير لسه محدود.

ما بعرف أنا حبّيت هذه الشعبة بيجوز لأنه مخي صار مثلهم، بس في معلمين لما يكون إلو حصة عندهم ما بيصدق وهيّ تخلص الحصة.

مهنة التعليم ممتعه . . . وبنظري أقوى مهنة . . . . صحيح يتخللها مصاعب وتعب بس راحة بال . . . . يكفي أن ترى ثمرة إنتاجك بعد تسع أو عشر سنوات (طبيب، مهندس، معلم، تاجر) وهان بتشعر بعزة نفسك ومركزك العالي في المجتمع . . . .
ويا ريت ما ننظر للتعليم إنه مقبرة الشخص . . . أو اللي مش عارف وين يروح، يطلع معلم. أنا بحكي، كون على قد حالك، واطلع معلم.

مدرسة ذكور قلقيلية الأساسية الأولى